

إعداد

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية





بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى لدار الإمام المجدد للنشر والتوزيع

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٢٣٢٤/ ٢٠٠٥

دار الإمام المجدد

دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع

شارع الهدي المحمدي - مساكن عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر

جوال: ٠١٠٥٢٦١١٤٩ - ٠١٠٦٤٢٦٠٣٥

E-Mail : emam_mujadded@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

فمما لا شك فيه أن دعاء الله عز وجل من أفضل أنواع العبادة، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدعاء هو العبادة**»، وفي رواية أخرى: «**الدعاء مخ العبادة**».

ودعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب سبب لقبول الدعاء، وإجابته عند الله عز وجل، والدعاء لولاة أمور المسلمين بالصلاح والتسديد والأخذ بأيديهم إلى ما يصلح رعاياهم وينصرهم على أعدائهم من الكفرة والملحدين، وهو من الأمور التي حثَّت عليها شريعة الله، إذ بصلاحهم تصلح أمور البلاد والعباد.

فإن ولي الأمر إذا صَلُح صَلُح شأن الرعية، واستقام

أمرها، ومن هنا كان دعاء الله لهم من أفضل ما يتقرب به الإنسان إلى الله عزو جل، حيث إن نفعه لا يقتصر على شخص بعينه، ولكنه عام يستفيد منه كل أفراد الأمُة.

والدعاء لولاة أمور المسلمين فيه إبراء للذمة فالدعاء من النصيحة لهم، والنصح لهم أمر حثَّت عليه الشريعة، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة**» كرَّر ذلك ثلاثًا قال الصحابة: لِمن يا رسول الله قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**».

وثبت عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّمع والطاعة والنُّصح لكل مسلم»، والنَّصح لأئمة المسلمين يشمل كل من له ولاية على المسلمين من الحُكَّام والأُمراء والقُضاة سواء أكانت ولاية صغيرة أو كبيرة، وهذا يتمثل في السمع لهم والطاعة ما لم يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا سمع لهم ولا طاعة كما ورد بذلك الحديث.

ولأهمية ما تضمنه هذا الكتاب «الدعاء لولاة الأمر»

عزمت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على إخراجه.

ففيه الحثُّ على الدعاء لولاة المسلمين وبيان ما يجب لهم و ما يجب عليهم لرعاياهم، وإيضاح فائدة الدعاء لهم، لا سيما في ظهر الغيب، فإن الدعاء في ظهر الغيب من بواعث الإجابة كما ورد في الحديث الشريف.

والذي دعا إلى نشر هذا البحث إضافة إلى أهميته أمران:

أولهما: الحاجة الماسة إلى هذا الدعاء في هذا الزمن الذي تكالب فيه الأعداء على المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الثاني: أنه لم يسبق للوزارة إفراد هذا الموضوع – على أهميته – ببحث مستقل.

وقد جرى جمع ما تيسَّر من مادة علمية، في ستة مباحث على النحو التالي:

١ – الإمامة.

٢ – السمع والطاعة.

٣ – النهي عن سبِّ الأمراء والصبر على جورهم.

٤- النصيحة.

٥- الدعاء لولاة الأمر

٦- من فوائد الدعاء لولاة الأمر.

فعليك أخي المسلم بالدعاء لهم، فلعلَّ الله عز وجل أن يُجيب دعوتك فيجعلهم من الراشدين المهديين، وبذلك تصلح الأمور، وتزول الشرور، وتتنزل البركات، وتكثر الخيرات.

نسأل الله تعالى أن يحمي هذه البلاد المباركة من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يديم عليها الرخاء والخير، والأمن و السكينة، في ظل قيادتها الرشيدة، وأن يبقيها رمـزًا للإسلام، ومنارًا يهتدى به، وإمامًا يقتدى به، وأن يكفيها شر أعدائها، ويكتب لها العز والتأييد، والنصر والتمكين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

وكالة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد لشئون المطبوعات والنشر

❋ ❋ ❋

الإمامة

من هم ولاة الأمر؟

إن مما هو معلوم - بالضرورة - لكل أحد، أن أمور بني الإنسان لا يمكن أن تأخذ السيرة المستقيمة إلا بوجود إمام يلتف الناس حوله، يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، يردع الظالم ويضع الحق في نصابه، وقديمًا قال ذاك الشاعر الجاهلي:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهّالهم سادوا(١)

وحين جاء الإسلام أكد على هذا الأمر تأكيدًا عظيمًا وجعل «اتخاذ الإمارة دينًا، وقربة يُتقرب بها إلى الله عز وجل»(٢).

بل لقد أجمع المسلمون إلا مَن لا يُعتدُّ بخلافه على وجوب الإمامة وعلى وجوب نصب الإمام(٣).

---

(١) قائله: الأفوه الأودي. انظر «الأمالي» للقالي (٢/ ٢٥٠).
(٢) «السياسة الشرعية» لابن تيمية (ص: ٢١٩).
(٣) انظر «الأحكام السلطانية» للماوردي(ص: ٥) وأبي يعلى الفراء (ص: ١٩)،=

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «الفتنة؛ إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس»[١].

بيد أن المقصود الأعظم من الإمامة «إصلاح دين الخلق، الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا، ولم ينفعهم ما نَعِموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدِّين، إلا به من أمر دنياهم»[٢].

وبدون إمامة لا تقوم للدِّين قائمة، ولا يُشاد له مَعْلم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدِّين، بل لا قيام للدِّين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فلْيؤمِّروا أحدهم» رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما[٣].

= و«الفصل لابن حزم» (٤/ ٨٧).

(١) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص: ١٩).

(٢) «السياسة الشرعية» (ص: ٣٩).

(٣) «السياسة الشرعية» (ص: ٢١٧).

السمع والطاعة

إن من أكبر ما ينهض بتلكم الإمامة، أن يلتزم المجتمع بالسمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية، وفي هذا انتظام شئون العباد الدينية والدنيوية. ويوم لا يعلن المجتمع ذلك، ولا يدين به، فلا وجود - حقيقي - لإمامة، ولا اعتبار لحاكم، ومن مشهور الكلم: «لا إمامة إلا بسمعٍ وطاعة»(١).

ولقد تظافرت النصوص التي توجب على المسلم السمعَ والطاعةَ بالمعروف، من مثل قوله صلى الله عليه وسلم: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية»** رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٢).

يقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالحُ العباد

---

(١) «الدرر السنية» (٧/ ٢٨٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٣/ ٣٢٩) (٧١٤٤)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٦٩) (١٨٣٩) واللفظ لمسلم.

في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم»(١).

والمسلم إذا سمع وأطاع، أُجِر، لأنه - في حقيقة الأمر - ممتثل أمر الشرع المطهر، والعكس بالعكس، أي إذا لم يسمع ولم يطع أَثِم، ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «فطاعة الله والرسول واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم؛ فما له في الآخرة من خلاق»(٣).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٢/ ٣٤٧) (٢٩٥٧)، «صحيح مسلم»(٣/ ١٤٦٦) (١٨٣٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧، ١٦).

والسمع والطاعة لولاة المسلمين من الحكام والأمراء والعلماء شيء مُجْمَع على وجوبه عند أهل السُّنة والجماعة، وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء.

وقَلَّ أن ترى مؤلفًا في عقائد أهل السنة، إلا وهو ينص على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، وإن جَاروا وظلموا، وإن فسقوا وفجروا، ما لم يأمروا بمعصية الله.

والإجماع الذي انعقد عند أهل السُّنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لهم مبنيٌّ على النصوص الشرعية الواضحة التي تواترت بذلك[1].

منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا مَن وُلِّيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره الذي يأتي من معصية الله ولا ينزع يدًا من طاعة**» حديث صحيح رواه مسلم.

---

(١) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة (ص ٧٥).

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجلٌ فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا...**» حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم وابن حبان والحاكم.

* * *

النهي عن سب الأمراء والصبر على جورهم

الوقيعةُ في أعراض الأمراء، والاشتغال بسبِّهم، وذِكر معايبهم؛ خطيئة كبيرة، وجريمة شنيعة، نَهَى عنها الشرع المطهَّر، وذم فاعلها، وهي نواة الخوراج على ولاة الأمر، الذي هو أصل فساد الدِّين والدنيا معًا. وقد علم أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فكلُّ نص في تحريم الخروج وذم أهله، فهو دليل على تحريم السب وذم فاعله[1].

عن أنس رضي الله عنه **قال:** نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تسبُّوا أمراءكم ولا تغشُّوهم ولا تُبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب**» حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم وصحَّحه الألباني.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا**

(١) انظر معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة (ص ٨٧).

يستنُّون بسنتي وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قلتُ: كيف أصنع إن أدركتُ ذلك؟ قال: **«تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»** حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«سيكون بعدي أُمراء فتعرفون و تُنكرون فمَن أنكر فقد برئ ومَن كره فقد سَلِم ولكن من رضي وتابع»** قالوا: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة»** حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«السلطانُ ظلُّ الله في الأرض فمن أهانه أهانه الله ومن أكرمه أكرمه الله»** حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم وأحمد و الطيالسي والترمذي وابن ماجه وحسَّنه الألباني في الظلال.

عن عرفجة الاشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن أتاكم وأمركم جميع على رجلٍ واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرِّق كلمتكم فاقتلوه»** حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

عن وائل بن حجر رضي الله عنه **قال:** قلنا يا رسول الله: أرأيتَ إن كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ فقال: «**اسمعوا و أطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**» حديث صحيح رواه مسلم.

* * *

النصيحة

النصيحة: «حيازة الحظ للمنصوح له»[١] والواجب في كل مجتمع مسلم أن يشيع فيه مبدأ التناصح، لأن شيوع هذا المبدأ يأخذ بالمجتمع نحو الكمال وينأى به عن مهاوي النقص، إذ المؤمنون إخوة يحب الواحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه، بل جاء في الحديث الشريف أن المؤمن مرآة أخيه[٢].

أي يخبره بجوانب النقص التي تخدش دينه وتثلم مروءته، لا سيما وأن النقصان سمة الإنسان ولا يكون الكمال إلا لواهبه.

وما أحسن صنيع بعض العلماء حين ربط بين المعنيين، اللغوي والعرفي للنصيحة بقوله: «النصيحة مأخوذة من نَصَحَ الرجلُ ثوبَه، إذا خاطه، فشبَّهوا فعل الناصح فيما يتحراه من

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢ / ٣٧).

(٢) رواه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – البخاري في (الأدب المفرد) «صحيح الأدب المفرد» (ص: ١٠٦، ١٠٧)، وأبو داود «في السنن» (٥ / ٢١٧، ٢١٨) (٤٩١٨)، وإسناده حسن، و كما قال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (ص: ٢٨١).

صالح المنصوح له، بما يسده من خلل الثوب»[1].

ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم حريصًا على انتشار التناصح في الأمُة حتى جعل يبايع بعض الصحابة على بذل النصيحة للمسلمين، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصح لكل مسلم»[2].

وليست نصيحة المسلم لإخوانه مقصورة على إهدائهم عيوبهم فحسب، بل هي عامة تشمل كل ما فيه نفعهم مثلُ: «إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكفِّ الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينُهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسدِّ خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخوُّلِهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٣٧)، «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ١٩٧).
(٢) «صحيح مسلم» (١/ ٧٥) (٥٦).

وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وتنشيط هممهم إلى الطاعات»[١] ونـحو ذلك.

فكل هذه الأشياء داخلة في مفهوم النصيحة، ولهذا عظَّم النبي صلى الله عليه وسلم شأنها بقوله: «**الدِّين النصيحة..**» فجعلها عماد الدِّين وقوامه، ولذا كان هذا الحديث عِند بعض العلماء أحد عِدة أحاديث يدور عليها الدِّين[٢].

وإذا كانت حاجةُ المسلم - أيِّ مسلم - شديدةً إلى النصيحة، فإن حاجة وليِّ الأمر إليها أشدُّ وأعظم، لأنه القائمُ على شئون الناس والراعي لمصالحهم أجمعين.

فلِمَا ينهض به من جليل الأعمال وعظيم المهام احتاج إلى الناصح الأمين والموجِّه المخلص، ومن هنا حضَّ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٣٩).

(٢) انظر: «السابق» (٢/ ٣٧)، «فتح الباري» (١/ ١٦٧)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٥).

المصطفى صلى الله عليه وسلم على إزجاء النصيحة لولي الأمر في غير ما حديث، فقال عليه الصلاة والسلام - في الحديث المشار إليه قريبًا: «**الدِّين النصيحة**» قيل: لمن يا رسول؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم**»[(١)] رواه مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال**: قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم**»[(٢)].

وعن جُبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بالخَيْف من مِنَى: «**ثلاثٌ لا يُغِلُّ**[(٣)]

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٧٤)(٥٥)، وانظر روايات هذا الحديث بألفاظه في (تعظيم قدر الصلاة) للمروزي(٢/ ٦٨١).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٧)، وابن حبان في «الصحيح». (٨/ ١٨٢، ١٨٣ - الإحسان) (٣٣٨٨) وإسناده صحيح.

(٣) قال ابن الأثير: (لا يُغِلُّ) من الإغلال،وهو الخيانة في كل شيء، ويروى: (يَغِلّ) بفتح الياء، من الغِلّ، وهو الحقد والشحناء،أي: لا يدخله حقد يزيله=

عليهن قلبُ امريء مسلم: إخلاص العمل لله و مناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين»[١].

فهذه النصوص النبوية وما ماثلها تحث المؤمن على أن يقوم بحسب استطاعته بواجب النصيحة لمن ولاه الله أمره[٢].

ولا يتوهَّمنَّ أحد أن مناصحة ولي الأمر لا تكون إلا في الوقوف أمامه ووقْفِه على مواضع تقصيره، كلا، بل مفهوم المناصحة أوسع من ذلك إذ يشمل هذا وغيره مما هو أكثر منه، وفي ظني أن الناس إنما دخل عليهم النقص والخلل في نصيحة ولي الأمر، حين لم يفقهوا ما تشمله تلك النصيحة، **ذلك أن نصيحة ولي الأمر تشمل ما يلي:**

* طاعته والسمع له بالمعروف.

= عن الحق، وروي (يَغِلُ) بتخفيف اللام، من الوغول أي: الدخول إلى الشر، والمعنى: «أن هذه الخلال الثلاث تستصلح به القلوب من تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدَّغَل والشر». «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٣٨١).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٨٠،٨٢) وسنده جيد، كما قال الساعاتي في «بلوغ الأماني» (٦/ ١٦٥) وله شاهد من حديث زيد بن ﷺ عند ابن حبان (١/ ٢٧٠ - الإحسان) (٦٧) وسنده صحيح.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٩،٦،٥،١٠).

* عدم الخروج عليه.
* إرشاده إلى الحق بالحسنى، وإعانته عليه.
* طي عيوبه ونشر محاسنه.
* الذب عن عرضه.
* الدعاء له بالتوفيق والصلاح.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «والنصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به، وتنبيهُهم عند الغفلة، وسدُّ خَلَّتهم عن الهفوة، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم؛ دفعُهم عن الظلم بالتي هي أحسن»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - في كلمة مستوعبة -: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين، وهم ولاتهم، من السلطان الأعظم، إلى الأمير، إلى القاضي، إلى جميع مَن لهم ولاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم، وجب لهم من النصيحة

(١) «فتح الباري» (١/ ١٦٧).

بحسب مراتبهم ومقاماتهم وذلك باعتقاد إمامتهم، والاعترافِ بولايتهم، ووجوبِ طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم، ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كلٌّ أحد بحسب حاله والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإن صلاحَهم صلاحٌ لرعيتهم.

واجتناب سبِّهم والقدح فيهم وإشاعة مثالبهم، فإن في ذلك شرًا وضررًا وفسادًا كبيرًا، فمِن نصيحتهم الحذرُ والتحذيرُ من ذلك.

وعلى مَن رأى منهم ما لا يحل أن يُنبِّههم سرًا لا علنًا، بلطف وعِبارة تليقُ بالمقام ويحصل بها المقصود، فإن هذا مطلوب في كل أحد، وبالأخص ولاةُ الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص...»[١].

فكل هذه الأمور الجليلة كما ترى داخلة في النصيحة

---

(١) الرياض الناضرة (ص: ٣٨، ٣٩).

لولي الأمر، وعلى كل مسلم يريد القيام بما أوجب الله عليه أن يأتي بما تتطلبه هذه النصيحة أو بما يستطيعه من ذلك، بحسب قدرته وحاله.

ومن أعظم حقوق النصيحة لولي الأمر: أمر غَفَل عنه كثير من الناس في هذا الزمان المتأخر، ولا يسع أحدًا تركُه، لأنه في مقدورهم جميعًا، ألا وهو الدعاء لولي الأمر، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث التالي إن شاء الله.

* * *

الدعاء لولاة الأمر

حَرَص أئمة أهل السُّنة والجماعة منذ القرون الأولى على بيان ذلك السبيل السَّوي الذي سار عليه - في معتقدهم - خيارُ الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، من الصحابة والتابعين ومن اقتفى أثرهم بإحسان.

وبدهي أن من أجَلِّ غاياتهم في هذا البيان، تمييز منهج أهل السُّنة العقدي، عن غيره من المناهج البدعية الطارئة، حتى لا يختلط الأمر على طالب الحق ومُبتغي الرشد.

وكان من القضايا التي تناولوها بالبيان والتحليل، وجعلوها - فيما ظهر لهم - من أصول أهل السنة، طاعة أولياء الأمر وعدمُ الخروج عليهم، ولم يقفوا عند هذا، بل جاوزوه إلى ما هو أخصُّ منه، وهو الدعاء لأولياء الأمر بالتوفيق والصلاح والسداد.

ولعمر الله إن هذا لهو الحق، ففي صلاح ولاة الأمر صلاح العباد والبلاد، كما قال القاضي عياض رحمه الله[1].

---

(١) وسيأتي نص كلامه إن شاء الله.

وإليك ما وقفنا عليه من مقالاتهم في هذا الباب: يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله - (ت سنة ٣٢١ هـ) في «عقيدته المشهورة» ما نصه:

«ولا نرى الخروج على أئمتنا و ولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة»[1].

وقال إمام أهل السنة في عصره أبو محمد البربهاريُّ - رحمه الله - (ت سنة ٣٢٩ هـ) في «شرح السنة»: «فأمرنا أن ندعوا لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعوا عليهم، وإن ظلموا وإن جاروا، لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم و للمسلمين»[2].

وقال الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي - رحمه الله - (ت سنة ٣٧١ هـ) في «اعتقاد أهل السنة»: «و يرون أي أهل

---

(١) «العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز» (ص: ٣٧٩).
(٢) «شرح السنة» (ص: ١١٧).

السنة و الجماعة الصلاةَ، الجمعة وغيرها، خلف كل إمام مسلم، برًا كان أو فاجرًا... ويرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلى العدل»[١].

وقال الإمام شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني - رحمه الله - (ت. سنة ٤٤٩ هـ) في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين و غيرهما من الصلوات، خلف كل إمام، برًا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جَوَرة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، وبسط العدل في الرعية»[٢].

واعلم أيها الأخ الكريم: أن هؤلاء الأئمة الهداة لم يكونوا ليكتفوا بتسطير هذه الكلمات في مؤلفاتهم وحسب، بل كانوا يطبّقون هذا الأمر في حياتهم العملية، ويفوهون به أمام أهل الناس تعليمًا لهم وإرشادًا. ودونك مثالًا على هذا إمامَ أهل السُّنة الصِّدِّيق الثاني أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله

---

(١) «اعتقاد أهل السنة» (ص: ٥٠).

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (٩١، ٩٢).

ورضي عنه – فمع تعدد ما كتب هذا الإمام في الحث على طاعة السلطان والدعاء له، ضمن النُّبذ التي كان يكتبها في اعتقاد أهل الإيمان(١)، فإنه كان أيضًا دائم الدعاء للسلطان، وبخاصة إذا مَّر ذِكْره، أو عَرَض له ذكر في أثناء مسألة.

قال أبو بكر المروذي: سمعتُ أبا عبد الله، وذُكر الخليفةُ المتوكل، فقال: «إني لأدعو له بالصلاح والعافية..»(٢).

وقال أحمد بن الحسين بن حسان – وهو أحد أصحاب الإمام أحمد –: سمعت أبا عبد الله وسُئِل عن طاعة السلطان؟ فقال بيده: عافى الله السلطان، تنبغي، سبحان الله! السلطان؟ (٣).

ولقد بالغ هذا الإمام في حثِّ الناس على الدعاء لولي

---

(١) انظر شيء من ذلك في: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص: ٢١٦، ٢٢١).

(٢) «السنة للخلال» (ص: ٨٤) قال محققه: «إسناد هذا الأثر صحيح».

(٣) «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل» (٢/ ٤). وقوله: «تنبغي»؛ أي طاعة السلطان. والمعنى: أن طاعته واجبة، وفي قول الإمام أحمد: «سبحان الله، السلطان» تعظيم لشأن السلطان وطاعته.

الأمر فأرسل مقولته التي اشتهرت اشتهار الشمس، وأصبحت حكمةً تتناقلها الألسنة، وهي:«لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان»[1].

وهذا يدلك على عظيم فقه هذا الإمام الراشد و بُعْدِ نظره، فهو يريد أولًا أن يعلِّم الناس مبدأ السمع والطاعة. ويريد منهم ثانيًا أن تلهج ألسنتهم بدعوات صادقة، يسألون الله فيها الهداية للسلطان، وأن يأخذ بيده إلى الحق.

فحريٌّ بالمسلمين الذين يرغبون في القيام بواجب النصيحة، وسلوك جادة السَّلف، حريٌّ بهم أن يخصُّوا ولاة أمرهم بشيء من دعائهم. ويا ليت المشتغلين بأعراض الولاة أمسكوا عن ما هم فيه، واستبدلوا به الدعاء، فلو فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم، على أن الاشتغال بالأعراض لا يقرِّب بعيدًا ولا يقيم معوجًّا، وإنما يوغر الصدور ويجلب الأوزار. **قال الحافظ أبو إسحاق السبيعي**: «ما سبَّ قومٌ أميرهم إلا حُرموا خيره» رواه ابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٨٧).

(١) «السياسة الشرعية». (ص: ٢١٨).

وحريٌّ بالعلماء والدُّعاة أن يتحدَّثوا عن منزلة الدعاء، من النصيحة، ويحثُّوا الناس كافة عليه، ويخبروهم أن هذا هو منهج السلف الصالح، مُبيِّنين آثار هذا الدعاء، والفوائد المترتبة عليه. وسنذكر شيئًا منها إن شاء الله.

وعلى الخُطباء أن لا ينسوا ولي الأمر من دعائهم يوم الجمعة، ولو لم يكن في دعائهم له إلا تعليمُ الحضور، لكفى بذلك فائدة.

قال الشيخ الدكتور صالح الفوزان: «ويُسنُّ أن يدعو – أي الخطيب – للمسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ويدعو لإمام المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والتوفيق وكان الدعاء لولاة الأمور في الخطبة معروفًا عند المسلمين، وعليه عملهم، لأن الدعاء لولاة أمور المسلمين بالتوفيق والصلاح، من منهج أهل السنة والجماعة، وتركه من منهج المبتدعة. **قال الإمام أحمد:** «لو كان لنا دعوة مستجابة، لدعونا بها للسلطان» ولأن في صلاحه صلاح المسلمين.

وقد تُرِكَت هذه السُّنة حتى صار الناس يستغربون الدعاء لولاة الأمور ويسيئون الظن بمن يفعله»[1].

(١) «الملخص الفقهي» (١ / ١٨٢).

من فوائد الدعاء لولاة الأمر

الدعاء لولاة الأمر له فوائد عدة وعوائد ثرَّة، وقد رغبتُ في أن أذيل هذا البحث بذكر ما تحصل لديَ من تلكم الفوائد، عسى أن تكون دافعًا لي ولغيري على الدعاء لوليِّ الأمر، فأقول:

الفائدة الأولى: أن المسلم حين يدعو لولي أمره، فإنه يتعبد ربه بهذا الدعاء، ذلك لأن سمعه وطاعته لولي الأمر، إنما كانا بسبب أمر الله له وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكَرِه إلا أن يُؤمر بمعصية»**[١] متفق عليه.

فالمسلم إذن يسمع ويطيع تعبُّدًا[٢]، ومن السمع

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٢/ ٦٩٤)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٢).

والطاعة لولي الأمر الدعاء له. **قال ناصر الدين ابن المُنَيِّر** رحمه الله **(ت سنة ٦٨١ هـ)**: «الدعاء للسلطان الواجب الطاعة، مشروع بكل حال»[١].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: «الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات...».

الفائدة الثانية: أن في الدعاء لولي الأمر إبراءً للذِّمة، إذ الدعاء من النصيحة[٢].

والنصيحة واجبة على كل مسلم[٣]، قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله: «إني لأدعو له أي السلطان بالتسديد والتوفيق - في الليل والنهار - والتأييد وأرى ذلك واجبًا عليَّ»[٤].

---

(١) «الانتصاف» بهامش «الكاشف» (٤ / ١٠٥، ١٠٦).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢ / ٣٨)، جامع العلوم والحكم» (١ / ٢٢٣).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٥، ٦، ٩، ١١).

(٤) «السنة» للخلال (ص: ١١٦).

ولقد مَّرت بك سلفًا كلمةُ الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن سعدي، وكان مما جاء فيه قوله - رحمه الله -: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين، مِن السلطان الأعظم، إِلى الأمير، إِلى القاضي، إِلى جميع مَن لهم ولاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لَمّا كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم، وَجَب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إِمامتهم، والإعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإِن صلاحهم صلاحٌ لرعيتهم».

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله -: «من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن النصح: الدعاء له بالتوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل، وصلاح البطانة».

الفائدة الثالثة: أن الدعاء لولي الأمر من علامات أهل السُّنة والجماعة. فالذي يدعو لوليِّ أمره، متَّسم بسمة من سمات أهل السُّنة والجماعة.

قال الإمام أبو محمد البربهاري - رحمه الله -: «وإِذا رأيتَ

الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيتَ الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله»[١].

وقال الإمام الآجري رحمه الله (ت ٣٦٠ هـ): «قد ذكرتُ من التحذير عن مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لِـمَن عصمه الله عزوجل الكريم عن مذهب الخوارج، ولم بر رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله العظيم أن يكشف الظلم عنه وعن جميع المسلمين، ودعا للولاة بالصلح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلَّى خلفهم الجمعة والعيدين، ... فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى»[٢].

الفائدة الرابعة: أن في هذا الدعاء تصديقًا لمبدأ السمع والطاعة، وتأكيدًا له، وإعلانًا به، ولهذا حين اقتحم رجال الخليفة المتوكل على الإمام أحمد بيته- على إثر وشاية - كان فيما

(١) «شرح السنة» (١١٦).
(٢) الشريعة ص: ٤٦.

قال لهم - رحمه الله -: «... إني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السِّر والعلنية، وفي عُسري ويُسري، ومنشطي ومكرهي، وأثرة عليَّ. وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق، في الليل والنهار...»[١].

ففي قول الإمام أحمد: «وإني لأدعو له...» تأكيد لما يعتقده من السمع والطاعة وإقرار به، ولهذا؛ خلَّى سبيله رجال الخليفة.

الفائدة الخامسة: أن الدعاء لولي الأمر عائد نفعه الأكبر إلى الرعية أنفسهم، فإن ولي الأمر إذا صلح، صلحت الرعية، واستقامت أحوالها، وهنئ عيشها.

أخرج البخاري في صحيحه عن قيس بن أبي حازم أن امرأة سألت أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال أبو بكر: «بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم»[٢].

قال ابن حجر - رحمه الله -: «أي: لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمة عن الحال، مال وأمال»[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠ / ٣٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣/ ٥١) (٣٨٣٤).

(٣) «فتح الباري» (٧ / ١٨٧).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه **يقول**: «اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير، ما استقامت لهم ولاتهم وهداتُهم»(١).

وقال القاسم بن مخيمرة - رحمه الله - **(ت سنة ١٠٠هـ)**: «إنما زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم، و إذا فسد سلطانكم فسد زمانكم»(٢).

وقال ابن المنيِّر - رحمه الله -: «نُقِل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم، فقيل له: أتدعو له وهو ظالم؟ فقال: إي والله أدعو له، إن ما يَدفعُ الله ببقائه، أعظمُ مما يندفع بزواله - قال ابن المُنَيِّر - لا سيما إذا ضُمِّن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه»(٣).

ولقد سُئِل الفضيل بن عياض - رحمه الله - **حين سُمع يقول**: «لو كانت لي دعوةٌ مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان»، فقيل له: يا أبا علي فَسِّر لنا هذا، فقال: «إذا جعلتُها في نفسي لم تَعْدُني(٤)، وإذا جعلتها في السلطان صَلَح

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨ / ١٦٢) وإسناده صحيح قاله السخاوي في «تخريج أحاديث العادلين» (ص: ٧٩).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٦٢، ١٦٣) و«شُعب الإيمان» (٦/ ٤٢).

(٣) «الانتصاف» بهامش «الكاشف» (٤ / ١٠٦).

(٤) أي: لم تجاوزني.

فصَلَح بصلاحه العبادُ والبلاد»[١].

وفي بعض الروايات: «لأنه إذا صلح الإمام أَمِن البلادُ والعباد»[٢].

وجاءت هذه الإجابة أكثر تفصيلاً عند أبي نعيم في «الحلية»، إذ قال الفضيل: «أما صلاح البلاد، فإذا أمن الناس ظلم الإمام عَمَروا الخرابات، ونزلوا الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل، فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار، خمسين خمسين أقل أو أكثر، يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيئهم مما يزكي الأرض، فرده عليهم، قال - أي الفضيل -: فكان صلاحُ العباد والبلاد»[٣].

ولقد راقتْ هذه الكلمات الإمام عبد الله بن المبارك -رحمه الله-

---

(١) رواه البربهاري في «شرح السنة» (ص: ١١٦، ١١٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩١، ٩٢) وإسناده صحيح.

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٢/ ١٩٧).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٩١، ٩٢).

وأعجبه هذا الفقهُ والاستنباط، فقبَّل جبهة الفضيل وقال له: «يا مُعلِّم الخير، مَنْ يُحسِن هذا غيرك؟»(١).

قال الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله -: أنشدني أحمد بن عمر ابن عبد الله لنفسه في قصيدة له:

نسأل الله صلاحاً	للولاة الرؤساء
فصلاح الدِّين والدُّ	نيا صلاحُ الأمراءِ
فبهمْ يلتئمُ الشَّملُ	على بُعْدِ التناءِ(٢)
وهم المُغْنُون عنا	في مواطين العناءِ(٣)

أقول: فليتأمل المتأملون، كم ضيَّع كثر من الناس على أنفسهم من الخير، بتركهم الدعاءَ لولاة أمورهم.

الفائدة السادسة: أن وليَّ الأمر إذا بلغه أن الرَّعية تدعو له، فإنه يُسَرُّ بذلك غاية السرور، ويدعوه ذلك إلى محبتهم ورفع المؤن ونحوها عنهم، ولا يزال يبحث عمَّا فيه

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٩١، ٩٢)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧)، «تخريج أحاديث العادلين» (ص: ٩٠، ٩١).

(٢) أي المكان.

(٣) «جامع بيان العلم» (١/ ٦٤٢).

سعادتهم، وربما بادلهم الدعاء بالدعاء.

ومما يذكر ههنا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السُّنة» من خبر والده حين كتب كتابًا أجاب فيه عن الخليفة المتوكل عن مسألة القرآن، وكانت مسألة معرفة لا مسألة امتحان.

قال عبد الله: فلما كتب أبي الجواب، أمَرَنا بعَرْضه على عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل.

وظاهر أن الإمام أحمد يستشير هذا الوزير في أسلوب الخطاب وما يناسب الخليفة، لا مضمونه، وحسنًا فعل، فإن الوزراء أعرفُ من غيرهم بما يلائم نفوسَ مستوزريهم.

قال عبد الله: قال أبي: «فإن أَمَرَكُم - أي ابن خاقان - أن تَنْقُصوا منه شيئًا، فانقصوا له، وإن زاد شيئًا فرُدُّوه إلَيَّ حتى أعرف ذلك».

فلما وقف ابنُ خاقان على الجواب، بادر قائلاً: «يحتاج أن يُزادَ فيه دعاءٌ للخليفة فإنه يُسرُّ بذلك..».

فأخبر هذا الوزير بما يُبهجُ الخليفة ويدخلُ السرورَ على

نفسه، ولهذا استجاب الإمام أحمد لرأيه، وضمَّن جوابه جُملاً من الدعاء، كقوله: «إني أسأل الله عز وجل أن يديم توفيق أمير المؤمنين، أعَزه الله بتأييده...»(١).

ونحن نسأل الله بأسمائه وصفاته، أن يُصلح ولاة أمر المسلمين، وأن يأخذ بأيديهم إلى الحق، كما نسأله سبحانه التوفيق، ونعوذ به من الخذلان و اتباع الهوى، و هذا آخر ما تيسَّر إيراده.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) «السُّنة» لعبد الله بن الإمام أحمد (١ / ١٣٣، ١٣٤).

الفهرس